

نموذج الخطب المترجمة

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بيانات الخطبة (باللغة الإنجليزية)** | | |
| **عنوان المادة** | **زيارة القبور المشروعة** | |
| **أعدها وصاغها** | **الفريق العلمي – ملتقى الخطباء- د. صالح الخدري** | |
| **عناصر الخطبة** | **1/ زيارة القبور والحكمة الشرعية من ذلك 2/ علة النهي عن الزيارة قبل الإذن بجوازها 3/ آداب زيارة القبور 4/ انتفاع الأموات بالدعاء واستئناسهم بذلك 5/ التحذير من الوقوع في المخالفات الشرعية حال الزيارة.** | |
| **المراجع** | **خطب مختارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد** | |
| **التصنيف** | **الرئيسي:**   **الحياة الآخرة** | **الفرعي:** |

الخطبة الأولى:

إنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتغفرُهُ ونَتوْبُ إليْه، ونعوْذُ بِالله من شُرورِ أنْفسِنَا ومِن سَيِّئَآتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدهِ الله فلا مُضِلَّ لَهُ ومَن يُضْلِل فلن تَجِدَ لَه وَلِيَاً مُرْشِدَاً

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ،

إنَّ أصْدَقَ الحديثِ كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد بن عَبْد الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكُلّ محدثة بدعة، وكُلّ بدعة ضلالة، وكُلّ ضلالة في النَّار.

(يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون) (يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتَّقوا الله الذي تسائلون به والأرحام، إنَّ الله كان عليكم رقيباً)(يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم، ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً).

أمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون:إنَّ ممَّا دعا إليه الإسلام، وحثَّ الأمَّة عليه، زيارة قبور المسلمين، ليس لأنَّ بداخلها أشخاص عاشوا بيننا، ولا لكونها بُنيت بهيئآت متعدِّدة، وبترتيباتٍ وأشكالٍ مختلفة ومتنوِّعة، وإنَّما لما ذكره نبيُّنا محمَّد -صلَّى الله عليه وسلَّم- في قوله: "فزوروا القبور فإنَّها تذكِّر الموت"، وقال -عليه الصَّلاة والسَّلام-:" قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمَّد في زيارة قبر أمِّه فزوروها، فإنها تُذَكِّر الآخرة" التّرمذي، فبيَّن العلَّة من الزِّيارة وهي تذكُّر الآخرة، وأولُّ مراحل الآخرة تبدأ بدخول القبر، وتذكُّر الآخرة يجعل العبد في إقبال على ربِّه، واستغناء عن النَّاس، وزهد فيما بأيديهم، ويؤكِّد ذلك ما جاء في لفظ الحديث الآخر:"تُزهِّد في الدُّنيا"(أحمد).

وقول النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم-: "تُذكِّر الآخرة" يلزم منه ألَّا يجعل المرء لمن في القبور أكثر ممَّا هو مشروع في حقِّهم، ومن ذلك السَّلام عليهم، والدُّعاء لهم.

كما أنَّ من لوازم ذلك ألا تكون القبور بهيئآت تَصْرِفُ عن تذكُّر الآخرة، كما يظهر لدى كثير ممَّن لا يتحرَّون جَعْل القبور وفق ما أذن به الشَّرع الحنيف، سواء زخرفتها، أو بنائها بهيئآت ضخمة، وبأحجار فاخرة ومنقوشة ومزخرفة، وتزيينها بأنواع من الألوان، والقطع النَّادرة من الرُّخام وغيره.

فجعلها على التَّوصيف الشَّرعي الوارد، استجابة لداعي الشَّرع أولاً، ثمَّ إنَّه يعين على تذكُّر الآخرة، ولا يصرف عن ذلك، بخلاف ما لو كان القبر مدعاة للتفكُّر في زخارفه ونقوشه أوضخامة بنائه.

كما أنَّ النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - نهى عن زيارة القبور في بادئ الأمر، وفي ذلك معالجة لما كان عليه النَّاس من ارتباط وتعلُّق بتلك القبور في الجاهلية، والاعتقاد بمن فيها، اعتقاداً يصرف عن حقيقة التَّوحيد الذي دعى إليه الإسلام، كما أنَّ في ذلك نبذ لكلَّ العلائق التي تصرف الإنسان عن الخالق سبحانه وتعالى، في الأحياء أو الأموات، فيمن يعيشون معهم من البشر، أو في الأوثان الجامدة الصَّماء والبكماء، التي لا تنفع ولا تضرُّ، فكان لا بدَّ من المنع العام للرِّجال والنِّساء، للقريب أو البعيد، وهذا ما ورد في حديث النَّبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يحمل بيان النَّهي والنَّسخ بعده: " قد كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور.. ألا فزوروها".

وممَّا يظهر في الأمر وهو (التَّعلُّق بالقبور ومن فيها)، أنَّ النِّساء أكثر تأثراً بذلك من غيرهنَّ، والواقع القديم والحديث يشهد بتعلُّق النِّساء بالقريب، وبالأخصِّ المفقود، أكثر من الرَّجل، ومنه التَّعلُّق بمن في القبور، ولعلَّ السِّر وراء ذلك أنَّ للمرأة عاطفة أقوى من الرَّجل، وهذا مؤشِّر لما كان عند النِّساء، وما هو حاصل منهنَّ من الوقوع في عدد من المخالفات الشَّرعيَّة حال زيارتهنَّ للقبور وبالأخصِّ حال ضعف الإيمان، ومن ذلك الدُّعاء بالويل والثُّبور على أنفسهنَّ أو غيرهنَّ، لما حصل من فقدان أحد، وكذلك الاستغاثة بالميَّت، أو التبرُّك بقبر من يعتقدن نفعه حال موته، وكلُّ ذلك منع منه الشَّرع، لأنَّه استعانة بمخلوق، ورفضٌ أو اعتراضٌ على القضاء والقدر، لذا قال النَّبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، " لعن الله زوَّارات القبور" أبو داوود، ويُفهَم من الحديث جواز الزِّيارة مع النَّهي عن الإكثار منها، ولعلَّ من الحِكَمِ ألَّا يكون الإكثار من الزِّيارة ترسيخاً لما قد يتعلَّق بالقلب من الاعتقاد بنفع غير الله، أو أن يُجعل للموتى مكانةً لا تجوز إلا لله، فالإكثار في الزِّيارة أثرُهُ يدوم، بخلاف النَّادر أو القليل.

ويؤكِّد القول بجواز القليل من الزِّيارة كذلك، ما ورد في الإباحة العامَّة لسائر النَّاس، كما في قول النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- السَّابق: " ألا فزوروها فإنَّها تذكِّركم الآخرة"، وغير ذلك من الألفاظ الدَّالة على الجواز بإطلاق.

ولزيارة القبور آداب يجب مراعاتها واعتبار ذلك جزءاً من العبادة التي يأمل المرء الأجر من الله بفعلها، ومنها:

أن يقول المسلم إذا أتى المقبرة مُسَلِّمَاً وداعياً، وممَّا ورد في ذلك في كيفية السَّلام والدُّعاء، قول النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: " السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السَّابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية" أبو داوود.

وكراهة أن يمشي عليها على القول الرَّاجح بدليل حديث النَّهي عن(أن توطأ)التَّرمذي، وألَّا يجلس عليها، لحديث النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتمزق ثيابه حتَّى تخلص إلى جلده، خيرٌ له من أن يجلس على قبر" صحيح مسلم، وألَّا يصلِّي إليها، كما جاء النَّهي في الحديث: " لعن الله اليهود والنَّصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد" متَّفق عليه.

وكل تلك الأنواع من الآداب تجعل الإنسان في حال انشغال بالذِّكر، وتعظيم الله تعالى، والدُّعاء للموتى، والسَّلام عليهم، فيجمع الشَّخص في ذلك بين تعظيم المولى سبحانه دون غيره، وكذلك الدُّعاء بالعافية للزَّائر والمزور، وهو تكريم لكليهما، واستشعار النَّهاية المحقَّقة لكلِّ إنسان على وجه الأرض، وهي مغادرة هذه الدُّنيا في يوم من الأيَّام، وتربية النَّفس بتذكُّر الآخرة والزُّهد في الدُّنيا، وامتثال الحزن المشروع، الذي تلين به القلوب، ولا يصرف عن الرِّضا بالقدر، بل في ذلك زيادة إيمان وتربية للنَّفس على الاستسلام لله، والخضوع والانقياد.

كما أنَّ في زيارة القبور أُنْسٌ للموتى، فالدَّعاء والسَّلام عليهم مع الزِّيارة ممَّا يسعدهم، ويزيدهم فرحاً واستبشاراً، وممَّا يدلُّ على شعور الميِّت بما يفعله الأحياء له، ما ورد عن النَّبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم- أنَّه قال فيما يتعلَّق بالرِّضا وحسن القول ألفاظٌ منها: " إنَّ الميِّت ليعذَّب ببكاء أهله عليه" متَّفق عليه، أي يحزنه، وفي لفظ: "حتَّى إنَّه ليسمع قرع نعالهم" متَّفق عليه، وهذا يدلُّ على إحساسهم بما يكون من الأحياء، من الشَّيء الحسن وخلافه.

وقد أورد الإمام مسلم قصة عمرو بن العاص - رضي الله عنه - لمن عنده حال احتضاره، حين قال: " إذا دفنتوني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتَّى أستأنس بكم" مسلم.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " لو أنَّ أهل القبور لا يشعرون بالزَّائر لما صحَّ تسميته زائراً، فإنَّ المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره، لم يصحَّ أن يُقال زاره".

ففي الزِّيارة إذاً خير للحيِّ والميِّت، وتكون الزِّيارة بتلك الآداب ممَّا يُندب إليه، لما ورد من النُّصوص في الحثِّ على ذلك أولاً، ثمَّ لِمَا يترتَّب عليها من الآثار الإيجابيَّة والحسنة والمشروعة، في حقِّ الزَّائر والمزور.

قلتُ ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، من كلِّ ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتَّقين، ولا عدوان إلا على الظَّالمين،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وليُّ الصَّالحين، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، سيِّد الأنبياء والمرسلين، أمَّا بعد:

عباد الله:إنَّ من الأمور التي ينبغي التَّنبيه عليها في هذا الأمر، الاحتراز من الوقوع فيما لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -، فعاقبة ذلك مؤلمة عياذاً بالله، وقد وقع في ذلك الباطل من النَّاس من وقع، ولولا فضل الله تعالى لزلَّت أقدامُ كثيرٍ ممَّن أنجاهم الله تعالى.

قال سبحانه في بيان عاقبة التَّقصير وعدم الانقياد: (فَليحذرِ الذين يخالفونَ عنْ أَمره، أن تصيبهم فتنةٌ، أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ) النور63، والمخالفة هنا عامَّة في كلِّ ما أُمر به الإنسان، من اعتقاد وقول وفعل.

ومن المخالفات التي يمكن الإشارة إليها، فيما يتعلَّق بزيارة القبور، إضافةً إلى ما سبق:

التَّمسح بها، ودعاء من فيها رغبةُ في تحقيق مرغوب، أو صرف مرهوب، وتضخيم بنيانها، وعمل الرُّسوم والكتابات والخطوط عليها، وفي حديث جابر - رضي الله عنه- قال: "نهى رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن تجصَّص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ" التّرمذي، وكذلك السَّفر وشدِّ الرِّحال إليها فيما ليس بمشروع، وذلك في سائر المساجد سوى المساجد الثَّلاثة، فقد ورد فيها جواز شدِّ الرَّحيل إليها دون غيرها، كما في الصَّحيحين.

وكلُّ ماسبق وغير ذلك من المخالفات تعدُّ صارفةً للاستفادة من الحِكَم المترتِّبة على زيارة القبور، التي يمكن استخلاصها من النُّصوص الشًّرعية، ومن ذلك الزُّهد في الدُّنيا وتذكُّر الآخرة، فتلك الأفعال علَّقت الشخص بالقبر وبمن فيه، وجعلته مشغولاً بالعبد عن المعبود، وبالباطل عن الحقِّ، وبالشَّكل عن الجوهر، وبالبدعة عن السُّنَّة .

وفي الحديث أن َّ- القبر هو أوَّل منازل الآخرة- التّرمذي، وبمعناه أحاديث عديدة، فكان لا بدَّ أن يكون القبر محطَّة للتفكُّر في الدُّنيا وحالها، والنَّظر في حقيقة الموت، وأنَّه غاية ينتهي إليها كلُ انسان، وليس أكثر ولا أعظم مقاماً لتذكُّر الآخرة والتَّفكُّر في حقيقة النَّفس، من زيارة القبور والنَّظر في حال من فارق الدُّنيا، خاصَّة مع استحضار تلك النِّية، والالتزام بالوارد من التَّوجيهات الشَّرعية في شأن تلك الزِّيارة.

فالموت فيه الموعظةً الكافيةً الوافيةً الشَّافيةً، وقد ورد في الحديث: " كفى بالموت واعظاً " ابن ماجة، فهو واعظ أبلغ من كلِّ بليغ، وأفصح من كلِّ فصيح، وهو بحقٍّ كما قيل فيه: الواعظ الصَّامت.

نسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يختم لنا بالحسنى، وأن يجعل عاقبة أمورنا إلى خير.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على البشير النَّذير، والسِّراج المنير، نبيّنا محمَّد بن عبد الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، من أمركم الله بالصَّلاة والسَّلام عليه بقوله: (إنَّ الله وملائكتَهُ يُصلُّون على النَّبيِّ يا أيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً)الأحزاب 56.